جهود الأوروبيين

في تحرير أسراهم بإيالة طرابلس الغرب

١٥٥١-١٨٣٢م

دكتور

المبروك محمود صالح سليمان

قسم التاريخ - جامعة عمر المختار – طبرق

تمهيد

شهدت ساحة البحر الأبيض المتوسط بداية من مطلع القرن السادس عشر اشتباكات بين المسلمين والأوربيين على خلفية حركة الاسترداد المسيحي لشبه جزيرة أيبيريا، تمكن المجاهدون المسلمون من تكبيد التجار الأوربيين خسائر كبيرة مادية وبشرية، ولعبت دول شمال أفريقيا دورا حيويا في حركة الجهاد ضد الأوربيين، وهي الحركة التي أطلقت عليها المصادر الأوربية مصطلح (القرصنة)(*)، وقد ترتب على حركة الجهاد تراكم أعداد الأسرى في المدن الكبرى في شمال أفريقيا ومنها طرابلس الغرب، وكان على الأوربيين أن يبذلوا جهدهم لافتداء هؤلاء الأسرى.

يعد الافتداء ركنًا أساسيًا وواجبًا مقدسًا عند المسيحيين؛ حيث بذلوا جهودًا عظيمة في تحرير أسراهم انطلاقًا من تعاليم دينهم. وقد شارك في تحرير الأسرى الأوروبيين الملوكُ ورجالُ الدين وعامة الشعب وبذل كل منهم ما بوسعه لتحقيق هذا الهدف النبيل، كما انتهز اليهود ذلك لتحقيق الثروات. ولقد ذكرت المصادر التاريخية مواقف كثيرة تدل على تسامح الطرابلسيين وإنسانيتهم إزاء هؤلاء الأسرى، ففي أحيان كثيرة كان الطرابلسيون يستغلون المناسبات الاحتفالية لاسيما الدينية منها، فيمنحون الحرية لعدد من الأسرى مصحوبة بمظاهر الفرح والابتهاج ومنهم من يكون إطلاق سراحه مكافأة له باعتباره أسيرًا ماهرًا قدم خدمات مهمة.

ويعّد هذا البحث محاولة تتمحور حول ما بذله الأوروبيون من جهود لتحرير أسراهم. كما كان من أهم الأسباب التي دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع: ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع بالرُغم من أهميته.

كما يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن تساؤلات مهمة تتمثل في:-

من هم القائمون على افتداء الأسرى؟

(*) القرصنة: مفهوم غربي يقابله عند المسلمين الجهاد البحري، وهي أسلوب فرضته طبيعة المرحلة على العلاقات الدولية خلال تلك الفترة. للمزيد ينظر: المبروك محمود صالح، المرجع نفسه، ص ١٥.

ما هى مواقف الحكومات الأوروبية تجاه أسراهم؟

وكيف كانت تتم عملية افتداء الأسرى؟

وعلى أي أساس كانت تتم عملية افتدائهم؟

وهل كان بمقدور كل أسير أوروبي افتداء نفسه؟

وما هو الدور الذي لعبته المنظمات الخيرية والاتفاقيات الدولية وغيرها في فك أسراهم؟

ولمّا كان بحثي هذا يتناول موضوع جهود الأوروبيين المرتبط ارتباطًا وثيقًا بإفتداء الأسرى، فلا بد لنا من معرفة حقيقة مفتدي الأسرى من حيث التعريف بهم. وقد عُرِف مفتدو الأسرى بهذه التسمية (Redemptoristes) والمشتقة من كلمة "Redempteur التي أطلقها المسيحيون على – المسيح عيسى عليه السلام – الذي افتدى البشرية وخلّصها من الخطايا والذنوب في معتقدهم. وعليه فكلمة Redemption معناها الخلاص والافتداء. أمّا Redemptoristes فتطلق على جماعات دينية مسيحية من القساوسة(*) والأساقفة(**) ينتمون إلى تنظيمات وطوائف دينية تأسس أغلبها في العصر الوسيط. كما يطلق عليهم أيضًا اسم "الآباء المخلّصين المفتدين"Reres Redempteurs(1).

أولاً: الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلام:

تعد مسألة الأسرى الأوروبيين وافتدائهم من المسائل الكبرى التي تضمنتها بنود المعاهدات الطرابلسية الأوروبية، وسنستعرض فى هذا المحور نماذج منها كما يلى:-

---

(*) القساوسة: مفردها قس وهو عند المسيحيين بمثابة الإمام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين. للمزيد ينظر: ابن خلدون عبدالرحمن (ت سنة ٨٠٨ هـ)، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م، ص ١٨٣.

(**) الأساقفة: مفردها أسقف وهو في الملة النصرانية نائب البابا ومبعوثه إلى أمم أخرى للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ١٨٨.

(1) BONO, Salvatore, Les Corsaires en Medierranee, Trad. Ahmed Somai, Edit La Porte, PARIS, edit 2000. p 225.

١- الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلام بين طرابلس وفرنسا:

شهد عام ١٦٠٥م توقيع اتفاقية بين طرابس(*) وفرنسا نص أحد بنودها على تحرير جميع الأسرى الفرنسيين بطرابلس، وتعيين قنصل في طرابلس لتولى هذه المهمة، وأخذ القناصل الفرنسيون يتعاقبون على طرابلس حتى سنة ١٦٢٠م وهي السنة التي شهدت توترًا في العلاقات بين الطرفين لاستئناف أعمال الجهاد البحري التي أدت إلى أسر مجموعة جديدة من الفرنسيين.(١)

كما وقَّعَتْ فرنسا اتفاقًا مع إستانبول(**) عام ١٦٣٠م كي تساعدها في الضغط على إيالات الشمال الأفريقي – لاسيما طرابلس – حتى تحرر أسراها، فكلفت العاصمة العثمانية

(*) استخدم العثمانيون منذ القرن السادس عشر اسم طرابلس الغرب لوصف ليبيا. وأطلقوا على طرابلس الغرب خلال مرحلة العصر العثماني الأوّل والعهد القرمانلي والمرحلة العثمانية الثانية اسم إيالة وهي كلمة تركية تعني الأصول والأنظمة المتبعة في الولايات العثمانية في ذلك الوقت وذلك حتى عام ١٨٦٥م، حينما صدر مرسوم بتحويل طرابلس من إيالة إلى ولاية وهي أكبر وحدة إدارية في التشكيلات العثمانية. للمزيد ينظر: المبروك محمود صالح، التجارة البحرية لإقليم برقة خلال العهد العثماني الثاني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م، ص ٥؛ عبدالله علي إبراهيم، "مجلس الإدارة في ليبيا في العهد العثماني الثاني" مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٨٠م، ص ١٤.

(١) نوري عمر الشتيوي، التجارة البحرية في ولاية طرابلس الغرب، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ٢٠٠٥م، ص ٣٢؛ شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تعريب: محمد عبدالكريم الوافي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٨٣م، ص ١٤٢.

(**) استانبول: سلامبول، تحرير تركي أدبي لاسم العاصمة العثمانية، ظهر منذ أواسط القرن الخامس عشر الميلادي عندما أصبحت المدينة مركزا للعالم الإسلامي. وهو مركب من: إسلام، وبول (بمعنى كثير) أي العامرة بالإسلام. للمزيد ينظر: عمار جحيدر، آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ١٩٩١م، ص ٢٢٦.

ممثل فرنسا المدعو (برينجير) وهو في طريقه إلى طرابلس بحمل إخطار يؤيد مطالب حكومته لتحرير أسراها، حيث استقبله حاكم طرابلس مصطفى داي(*) (١٦٢٤-١٦٣١م) بكل مظاهر الترحيب والحفاوة، ووافق على الطلب، ومن ثَمَّ عاد المبعوث إلى وطنه ومعه مئة أسير فرنسي.(١)

وفي الخامس عشر من شهر يوليو سنة ١٦٥٨م وُقِّعَتْ اتفاقية افتداء أربعمائة أسير فرنسي، مقابل فدية بلغت مئة وخمسين سكودو(**) عن كل أسير.(٢)

واستمرارًا لنمط المعاهدات التي أُبرمت بين فرنسا وطرابلس، فقد أُبرمت معاهدة في ٢٧ نوفمبر ١٦٨١م أدَّتْ إلى تحرير ٢٦٠ أسيرًا فرنسيًّا؛ ولكن الاتفاقية تم اختراقها بعد عام بحجة أن النسخة المصدق عليها من ملك فرنسا لم تصل إلى طرابلس، ووفقًا لهذا فقد تم دفع مبلغ مائة وخمسين قرشاً(***) عن كل فرد من أولئك الذين اختُطفوا من على متن السفن

(*) داي: كلمة تركية معناها العم وبمرور الزمن اقتصر إطلاقها على ضباط رواتب الجند، وقد وصل هذا اللقب إلى ليبيا وأصبح نطاقاً سياسياً يدير شؤون الولاية منذ سنة ١٦٠٢م. للمزيد ينظر: أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ١٩٦٨م، ص ٢٥٦.

(١) كوستانزيو برتيا، طرابلس من ١٥١٠ إلى ١٨٥٠، تعريب: خليفة محمد التليسي، طرابلس ليبيا: الناشر الفرجاني، ١٩٦٩م، ص ١٣٠؛ نوري عمر الشتيوي، المرجع السابق، ص ص٣٢، ٣٣.

(**) سكودو: Scudo وهي عملة إيطالية قديمة وتساوي ٤ قروش عثمانية. للمزيد ينظر: المبروك محمود صالح، التجارة البحرية لإقليم برقة خلال العهد العثماني الثاني، ص ١٥.

(٢) شارل فيرو، المرجع السابق، ص ١٤٢؛ إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٠١؛ خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية، ليبيا – تونس ١٩٨٥م، ص ١٠٣.

(***) القرش: هو عملة فضية تكونت من نوعين: القرش الصاغ ويعادل ٤٠ بارة، والقرش الرائج أو الجاري ويعادل ١٠ بارات (أي ربع القرش الصاغ)، وقد سكت أنواع عديدة من أجزائه مثل: القرشين ويعادل ٨٠ بارة، ونصف القرش ويعادل ٢٠ بارة. للمزيد ينظر: ياسين شهاب الموصلي، الأوضاع الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي ١٨٣٥-١٩١١م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٦م، ص ١٩١.

الحربية الفرنسية ومبلغ مائة قرش عن كل واحد ممن عداهم(١).

وأدى ذلك الخرق؛ لقصف السفن الفرنسية لميناء طرابلس، فقبلت الشروط من جديد، فتم تحرير ١٢٠٠ أسير أوروبي ودفع تعويض لفرنسا قدره ٤٠٠ ألف فرنك(٢).

وفي السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٦٨١م أبرمت فرنسا وطرابلس معاهدة، وكان من أهم شروطها ما يلي:

أ. إلزام طرابلس بإطلاق سراح جميع الأسرى الفرنسيين الذين تم اختطافهم من قبل على متن السفن التي ترفع العلم الفرنسي.

ب. تعهُّد بحارة طرابلس بعدم الاقتراب من شواطئ فرنسا بأقل من ستة أميال.

ج. القبول بتعيين قنصل فرنسي في طرابلس.

د. الالتزام بجميع ما تعهدت به سلطات طرابلس لفرنسا.

ولذلك رد بحارة طرابلس السفن الفرنسية التي استولوا عليها، كما أطلقوا سراح مائة وسبعة وعشرين أسيرًا بدون دفع فدية.

وفيما يخصُّ الأسرى الفرنسيين المسجونين في طرابلس، فإنه قد تم الاتفاق على أن يفتديهم القنصل بمبلغ مائة وخمسين قرشًا عن كل واحد من الأسرى على متن السفينة

---

(١) محمد الهادي أبو عجيلة، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية ١٧١١-١٨٣٥م وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ١٩٩٧م، ص ص ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ ؛ شارل فيرو، المرجع السابق، ص ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) علي مفتاح إبراهيم، الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ٢٠٠٥م، ص ٢٠٩؛ إتوري روسي، المرجع السابق، ص ص ٢٩٤؛ ٣٠٦، ٣٠٨؛ ن.إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث – منتصف القرن السادس عشر – مطلع القرن العشرين، ترجمة وتقديم: عماد الدين غانم حاتم، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ٢٠٠٥م، ص ٩٨.

الحربية، أما غير ذلك فيدفع عن الواحد منهم مائة قرش[١].

كما وافقت طرابلس في ٢٩من يونيه سنة ١٦٨٥م على تطبيق معاهدة وقعت مع فرنسا وتنص في بعض شروطها على ما يلي:

أ. استعادة جميع الأسرى النصارى بصرف النظر عن جنسياتهم والسماح لهم بالعودة إلى بلادهم.

ب. إعادة بضائع وأمتعة رعايا ملك فرنسا أو التعويض عنها نقدًا.

ج. تُسَلِّم طرابلس ستة رهائن يُخْتَارُون من بين كبار ضباط الديوان كي يتم اصطحابهم إلى ميناء طولون ويبقون به إلى أن يتم تسليم جميع الأسرى المحتجزين على متن السفن الطرابلسية إلى السلطان العثماني[٢].

وفي عام ١٦٩٢م اعتُقل قنصل فرنسا في طرابلس مما دفع حكومته إلى إعداد حملة عسكرية للضغط على السلطات الطرابلسية لإطلاق سراحه على الفور بالإضافة إلى إطلاق جميع رعايا الحكومة الفرنسية، واسترجاع بعض الغنائم التي قام بحارة طرابلس بالاستيلاء عليها [٣].

ثم تفاوضت فرنسا مع طرابلس سنة ١٦٩٣م، وحررت أربعين أسيرًا فرنسيًا.[٤]

وقد وقعت فرنسا اتفاقية مع طرابس في٢ أغسطس ١٧٢٨م كان من بنودها:

---

(١) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ص ٩٠، ٩١.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) كاميللو مانغروني، العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا/ تاريخ البحرية الليبية، ترجمة وتقديم: إبراهيم احمد المهدوي، مراجعة: أحمد الجهاني، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ط١، ١٩٩٢م، ص ١٠٤.

(٤) شارل فيرو، المرجع السابق، ص ٣٠٦

أ. إطلاق سراح جميع الأسرى الفرنسيين والرعايا التابعين لفرنسا. (١)

ب. تدفع طرابلس عشرين ألف قرش إشبيلي كتعويض لفرنسا عن الأضرار التي تعرضت لها سفنها التجارية من قبل بحارة طرابلس.(٢)

ج. إطلاق سراح ١٢٠٠ أسير أوروبي كان معظمهم من الإيطاليين. (٣)

كما تم أيضًا في الثالث عشر من أغسطس سنة ١٧٢٨م افتداء ثمانية أسرى فرنسيين بسعر تراوح بين ١٢٠ و١٣٠ قرشاً للأسير الواحد. (٤)

ولما احتلت فرنسا جزيرة مالطا في الثالث عشر من يونيو سنة ١٧٩٨م قام نابليون بإطلاق سراح ألفي أسير مسلم كانوا بالجزيرة، وفي المقابل تحصَّل على موافقة ولاة طرابلس وتونس والجزائر على إطلاق سراح جميع الأسرى الفرنسيين والمالطيين المحتجزين في تلك الإيالات.(٥)

٢- الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلام بين طرابلس وإنجلترا:

لم تهتم إنجلترا بشؤون البحر المتوسط حتى منتصف القرن السابع عشر ولم تكن لها علاقات مع طرابلس إلا بعد أن زادت خطورة أساطيل إيالات شمال إفريقيا في البحر

---

(١) كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ص ٢٦٠، ٢٦١؛ المبروك محمود صالح، "القرصنة البحرية في البحر المتوسط خلال عهد الأسرة القرمانلية، ص ٩١؛ رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، نقله للغة العربية: طه فوزي، طرابلس – ليبيا: دار الفرجاني، ص ٤٧.

(٢) شارل فيرو، المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٣) كاميللو مانغروني، المرجع السابق، ص ١٠٣؛ علي مفتاح إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٨٩.

(٤) خليفة محمد الأحول، بحوث ومقالات في مصادر تاريخ ليبيا الحديث، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ٢٠٠٧م، ص ٣٤؛ رودلفو ميكاكي، المرجع السابق، ص ٥٨.

(٥) إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٧٦.

المتوسط، ولم تهتم إنجلترا بإنشاء قنصليات لها في إيالات الشمال الإفريقي إلا بعد تجديد حلفها مع إستانبول سنة ١٦٥٨م، وبالتالي توصلت إلى سلام مع طرابلس حتى لا تتعرض سفنها في البحر المتوسط لاعتداءات السفن الطرابلسية. ففي الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٦٥٨م وقعت إنجلترا اتفاقية مع طرابلس.(١)

وقد عالج البند السادس عشر من الاتفاق الموقع بين طرابلس وإنجلترا سنة ١٦٧٦م موضوع الأسرى، فذكر أنه في حالة ما إذا رست السفن الإنجليزية بميناء طرابلس والتجأ أحد الأسرى إليها فلا يجوز القبض عليه أو إلقاء التبعية على القنصل العام أو التجار من أهل بلده(٢). كما أقرت هذه الاتفاقية إطلاق سراح جميع الأسرى الإنجليز. فضلاً عن إقرار اتفاق صداقة آخر تم توقيعه بين طرابلس وإنجلترا خلال سنة ١٨١٢م على إطلاق سراح جميع الأسرى الإنجليز بطرابلس.(٣)

وفي السابع والعشرين من أبريل سنة ١٨١٦م أرْغَمَ أسطول إنجلترا – بقيادة اللورد إكسموت – يوسف باشا على عقد اتفاقية تم بموجبها تحرير الأسرى الأوروبيين بطرابلس، حيث جرت مفاوضات بين الطرفين أسفرت عن التعهدات التالية:

أ. الاعتراف بأن جزر الأيونيان وهانوفر تابعة للتاج البريطاني.

ب. عدم استرقاق المسيحيين بعد ذلك.

ج. عقد صلح مع سردينيا وصلح آخر لمدة عشر سنوات مع نابولي مقابل دفع مبلغ (٥.٠٠٠) خمسة آلف قرش كهدية قنصلية عند بدء تعيين كل منهما، ودفع مبلغ مماثل عند تعيين أي قنصل بعد ذلك.

د. إطلاق سراح خمسمائة وتسعين أسيراً أوروبياً مقابل خمسين ألف قرش.(٤)

---

(١) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٢.

(٣) بروشين، المرجع السابق، ص ٩٨؛ إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٨٩.

(٤) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ٢٣٨؛ خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص ١٤٧.

٣- الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلام بين طرابلس ومالطا:

في ١٣من مارس سنة ١٦٣٨م عُقِد اتفاقٌ بين مالطة وطرابس تم بموجبه إتاحة تبادل الأسرى المالطيين في طرابلس مقابل تحرير الطرابلسيين المحجوزين في مالطا.(١)

أما في التاسع من يونيو سنة ١٦٣٨م فقد اتفقت طرابلس ومالطا على تبادل أسراهما، وذلك جراء هزيمة لحقت ببحارة طرابلس من فرسان مالطا.(٢)

وفي سنة ١٦٤٠م قامت مراكب مالطية بمهاجمة ميناء طرابلس، فتمكنت من تحرير أربعة عشر أسيراً أوروبياً، وفي سنة ١٦٤٢م قامت مراكب مالطا بتحرير ١٣٧ أسيراً أوروبياً. وفي سنة ١٦٤٤م تمكنت حكومة مالطا من تحرير خمسة من بحارتها أسرتهم بحارة طرابلس في السنة المنصرمة.(٣) كذلك حررت الحكومة المالطية سفينة مالطية وطاقمها سنة ١٨١٥م.(٤)

٤- الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلام بين طرابلس وحكومتي هولندا والنمسا:

حَذَتْ هولندا الحذو نفسه فوقَّعت اتفاقية مع سلطات طرابلس سنة ١٦٦٢م، تم على أثرها تحرير أسير بالمجان، بالإضافة إلى افتداء ثمانين أسيراً هولندياً مقابل مائتين وعشرين من قطع أبوثمانية النقدية عن كل بحار أسير، وثلاثمائة وخمسين قطعة عن كل رئيس معدات منهم.(٥)

وشهدت سنة ١٦٨٣م فتح قنصلية هولندية بطرابلس، حيث أهدى القنصل الهولندي

---

(١) إتوري روسي، المرجع السابق، ص ص ٢٧٠، ٢٧١.

(٤) كاميللو مانغروني، المرجع السابق، ص ٦٩.

(١) إتوري روسي، المرجع السابق، ص ص ٢٧٠، ٢٧١؛ عبدالرزاق أحمد النصيري، "الجالية المالطية في طرابلس الغرب ودورها الاقتصادي في العهد العثماني"، مجلة البحوث التاريخية، السنة الحادية والثلاثون، العدد الأول، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، يناير ٢٠٠٩م، ص ٩٨

(٢) عبدالله خليفة الخباط، العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا ١٧٩٥-١٨٣٢م، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٨٥م، ص ١٠١

(٥) شارل فيرو، المرجع السابق، ص ٢٠٤

للباشا مبلغاً كبيراً من المال وتعهد له بإمداده بمائة وخمسين برميلاً من البارود وثلاثة آلاف قذيفة وثلاثة كوابل وخمسة صواري سفن، فأكرمه الباشا بتحرير تسعة أسرى هولنديين كتعبير للتفصل عن العلاقات الطيبة بين الحكومتين.(١)

أما حكومة النمسا؛ فأقدمت على تحرير ١٥ أسيرًا نمساويًّا سنة ١٨١٤م، مقابل دفع فدية مالية بلغت قيمتها ٣٠٠ دولار للأسير الواحد(٢)

٥- الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلام بين طرابلس وحكومتي نابولي وصقلية:

أقرَّ الاتفاق الذي أُبْرِمَ بين نابولي وسلطات طرابلس في ١٢من إبريل ١٧٤٤م منح حكومة نابولي كميات كبيرة من القمح والشعير وهدايا للباشا في طرابلس، المقابل رد طرابلس سفن نابولي وإطلاق سراح جميع أسراها، ولكن الباشا طلب إبقاء "فوسكي" كرهينة حتى يتم التصديق على هذا الاتفاق، وبالفعل وصلت سفينة نابولي محملة بالحبوب، وحصل الباشا على الهدايا الثمينة، ومبلغ قدره ٤ آلاف زكينيز نقداً(*)(٣)

وفي سنة ١٨٠٥م افتدت نابولي ٢٣ أسيراً، بين ١٠٠-٣٠٠ دولاراً للأسير.(٤)

كما فدت حكومتا صقلية ونابولي أسراهما سنة ١٨٠٩م والبالغ عددهم ١٢٣ أسيراً، مقابل فدية قيمتها ٣٠٠ دولار للأسير الواحد.(٥)

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٦٣.

(٢) كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة: عبد القادر مصطفي الوحيشي، مراجعة: صلاح الدين السوري، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٨٨م، ص ص ٩٥، ٩٧، ٩٩.

(*) زكينيز: هي إحدى عملات البندقية كانت تعرف باسم الدوكات، صدرت سنة ١٢٨٤م وسميت فيما بعد بالزكينو ويساوي ٣,٥٥ غرام ذهب. للمزيد ينظر: سمير علي الخادم، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي - عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط (١٤٥٠-١٥١٧م)، مؤسسة الريحاني، بيروت، لبنان ١٩٨٩م، ص ٢٨٨.

(٣) رودلفو ميكاكي، المرجع السابق، ص ٨٢.

(٤) كولا فولايان، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ص ٩٥، ٩٧.

أما حكومة صقلية فقد حررت جميع أسراها من السجون الطرابلسية بدفع فدية بلغت ٣١٠ قرشاً عن كل أسير مقدماً سنة ١٨١٢م. كما وقعت اتفاقية صداقة أخرى مع يوسف باشا تم بموجبها دفع خمسين ألف قرش إسباني كفدية لتحرير أسراها.(١)

أما حكومة نابولي فقد عقدت معاهدة مع طرابلس في ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٢٨م نص الشرط الخامس فيها على إطلاق سراح جميع الأسرى من الطرفين(٢).

أما في سنة ١٨٢٩م فقد أقر الاتفاق الذي وقعته نابولي مع طرابلس والذي تضمن شروطاً أهمها ما يلي:

أ. إنهاء الحرب وبدء السلام بين البلدين.

ب. إطلاق سراح أسرى نابولي بدون تعويض.(٣)

٦- الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلام بين طرابلس وحكومة البندقية:

كانت البندقية دائماً تسعى لشراء رضا السلطات الطرابلسية فهي لا تهتم إلا بحصولها على امتيازات تجارية مع طرابلس. فأبرمت اتفاقًا مع طرابلس سنة ١٧٦٥م نص على مايلي:

أ. تحرير خمسة وأربعين أسيراً من البندقية.

ب. ضمان احترام سفن البندقية والرعايا التابعين لها، ومنحهم امتياز تجارة الملح بمدينة زوارة التابعة للسلطات الطرابلسية.(٤)

كما تناولت المادة الحادية عشرة من هذا الاتفاق موضوع الأسرى: ونصت على أنه في حالة إذا ما هرب أحد الأسرى لسفن البندقية – وهي راسية في ميناء طرابلس – فإنه يرد في الحال، كما أنه لا يؤخذ بصفة أسير أي أحد من رعايا البندقية وإذا أخذ أحدهم خطأ يسلم

(١) دور لفوميكاكي، المرجع السابق، ص ١٧٠؛ إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٩٠.

(٢) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٣) رود لفوميكاكي، المرجع نفسه، ص ٥٢.

(٤) إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٥٥.

إلى القنصل ولا يعامل معاملة الأسير ابتداء من تاريخ توقيع هذه المعاهدة وهو ما أكدته المادة الثانية عشرة.(١)

وقد ذكر شارل فيرو أن عدد الأسرى الأوروبيين الذين تحرروا سنة ١٧٦٥م بلغ ٥٩٠ أسيراً أوروبياً. فيما ذكر بروشين أن عددهم ٥٨٠ أسيراً أوروبياً.(٢)

٧- الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلام بين طرابلس والولايات المتحدة الأمريكية والسويد والدنمارك:

لقد حَذَتْ حكومة الولايات المتحدة الأمريكية حَذْوَ الدول الأوروبية فقامت بافتداء أربعة أمريكيين كانوا أسرى بطرابلس بمبلغ قدره ٤٠ ألف دولار سنة ١٧٩٧م.(٣) وفي الرابع من يونيو سنة ١٨٠٥م دفعت الحكومة الأمريكية ستين ألف دولار مقابل إطلاق سراح جميع أسراها المسجونين في طرابلس.(٤)

أما حكومة السويد فعقدتْ معاهدةَ صلحٍ مع سلطات طرابلس سنة ١٧٩٨م تدفع بموجبها مبلغ ٨٠٠٠٠ فرنك غرامة، ودفع ٨٠٠٠ فرنك سنوية، مقابل ترك السفن السويدية المستولى عليها وإطلاق سراح جميع الأسرى السويديين وعددهم ١٢٠بحاراً(٥).

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الصلح لم يدم طويلاً؛ لأن الباشا رأى أنه ليس من مصلحته استمرار السلام مع الدول الأجنبية وخاصة الصغرى منها؛ لأن مثل ذلك السلام يؤثر تأثيراً كبيراً على الحالة المالية للإيالة، لذلك فإنه لم تأت سنة ١٨٠٢م حتى عادت المشاكل بينهما من جديد، نظراً لعدم اقتناع يوسف باشا بنتائج ذلك الصلح ورغبته في الكسب الكثير، ولهذا أصدر أمره إلى رؤساء سفنه مرة أخرى بالاستيلاء على السفن السويدية. فتمكنوا من الاستيلاء على عدة سفن وأسروا الكثير من السويديين. فقامت السويد

---

(١) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ٣٣٥.

(٢) شارل فيرو، المرجع السابق، ص ٥٤٦؛ بروشين، المرجع السابق، ص ٢٢٧.

(٣) بروشين، المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٤) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ٧٢.

(٥) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ٣٨٢.

بمحاولة أخرى لإقناع الباشا بالالتزام باتفاقية الصلح السابقة، ولكنه لم يستجب لذلك، فاضطرت السويد للدخول في مفاوضات جديدة مع طرابلس برعاية قنصل فرنسا "بوسييه" نصت بعض شروطها على موضوع الأسرى، حيث ركز الشرط الثاني في هذه المعاهدة على الإفراج عن جميع الأسرى السويديين دونما طلب فدية. وتناول الشرط الثالث: موضوع السفن حيث جاء فيه: "إن السفن التي استولى عليها الباشا ستكون كتعويض عن الهبات من أجل السلام"(١).

أما فيما يتعلق بالحكومة الدنماركية فقد فاوضت سلطات طرابلسية في ١٩ نوفمبر ١٨١٥م بواسطة مبعوثها "تيسين" وقنصلها "كارستنسن"، وتم الاتفاق على صلح لمدة سبع سنوات يضمن إطلاق سراح ٤٥ أسيراً دانماركياً.(٢)

ثالثاً- الافتداء عن طريق جهود المؤسسات الدينية:

نركز في هذا العنصر على دور المؤسسات الدينية المسيحية في افتداء الأسرى الأوروبيين . إذ كانت ترسل أعضاءً من السلك الديني في شكل بعثات لهذا الغرض منذ القرن السادس عشر ، وينتمي هؤلاء إلى طوائف وتنظيمات مسيحية مختلفة ومن أهمها تنظيم الثالوث المقدس (*) وتنظيم سيدة

(١) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ٣٨٣.

(٢) دورلفو ميكاكي، المرجع السابق، ص ١٧٤.

(*) تأسس هذا التنظيم على يد القديسين "جون دو ماتا" و"فليكس دو فالوا" حيث شاهدا مناما تمثل في صورة ملك ينزل من أعالي السماء في وسط قرص مشع يحمل بين يديه صليبياً نصفه أحمر ونصفه الآخر أزرق اللون، ويمسك بيمينه أسيراً مسيحياً ويساره رجلاً مغربياً. وفهم من هذه الرؤية بأن إرادة الله هي أن يجعل القديسيين في خدمة وإعلاء اسمه بالعمل على إنقاذ وافتداء الأسرى المسيحيين وتخليصهم من يد المسلمين. وبعدها أعلن رسمياً عن ميلاد هذا التنظيم باسم الثالوث المقدس: (الأب، الابن، الروح القدس). وانتشر في أوروبا بأكثر من ٦٠٠ مقر ويعود زوال هذا التنظيم لما تم إلغاء استرقاق الأوروبيين، تبعاً لما نصت عليه اتفاقيات فيينا سنة ١٨١٥م. وللمزيد ينظر:

DAN, Pierre, Histoire da Barbarie et de ses corsairs. Des Royaumes et des villes d Alger De Tunis, de Sale de Tripoly, Edit. 2 paris 1637, livre 6, P. 454.

الرحمـة(*). وقد اتبعت تلك التنظيمات عدة خطوات لافتداء الأسرى وهي كما يلي:

١- جمع التبرعات:

إن أكثر التنظيمات الأوروبية نشاطاً في جمع الأموال كان: تنظيم الثالوث المقدس، وتنظيم سيدة الرحمة؛ حيث تحصل القائمون عليهما على امتيازات منذ عهد الملك الفرنسي "فرانسوا الأول" (١٥١٥-١٥٤٧م)، تسمح لهم بجمع الصدقات والتبرعات المالية من مختلف المدن والقرى في فرنسا. وكانت المنافسة- خاصة فيما يتعلق بجمع الأموال- شديدة، وقد صرح الملك الفرنسي "لويس الخامس عشر" (١٧١٥-١٧٧٤م) في رسائله أن الأب "كلود دو ماموك" رئيس تنظيم الثالوث المقدس وافتداء الأسرى قد أظهر أن مؤسسته تعمل على افتداء الأسرى تبعاً للبراءات البابوية التي وافقت على ذلك، وتحصلوا على رسائل من ملوك سابقين مثل "فرانسوا الأول" (١٥١٥-١٥٤٧م)، "هنري الثاني" (١٥٤٧-١٥٥٩م)، "هنري الثالث" (١٥٧٩-١٥٨٩م)، "هنري الرابع" (١٥٨٩-١٦١٠م)، و"لويس الثالث عشر" (١٦١٠-١٦٤٣م) الذين لم يسمحوا لهم بجمع التبرعات المالية في جميع المدن والقرى الفرنسية فحسب بل وافقوا على منح امتيازات للمشرفين على جمع هذه التبرعات، ممّا أثار سخط القائمين على تنظيم "سيدة الرحمة"؛ ولإنهاء المشاكل بين التنظيمين، تم في سنة ١٦٣٨م تخصيص مقاطعات معينة لكل تنظيم لجمع التبرعات المالية.(١)

(*) تأسس هذا التنظيم سنة ١٢١٨م من طرف القديس "بيير نو لاسك" و"ريمون دو بينا فور" واعترف بهذا التنظيم رسمياً البابا "جريجوار التاسع" سنة ١٢٣٥م. ويعود تأسيس هذا التنظيم إلى رؤيا القس ريمون دو بينا فور" قائلا: "لقد ظهرت لي السيدة هذه الليلة في صورة توحي بالجمال والوقار لا مثيل لهما، أمرتني بتأسيس تنظيم من أجل افتداء الأسرى يحمل اسم (تنظيم الرحمة) وقد ارتبط تأسيس هذا التنظيم بهذه الرؤيا مما أضفى عليه نوعاً من القداسة وأعطاه شرعية روحيةً أكبر، من شأنها أن تزيد في استقطاب عدد كبير لصفوفه. للمزيد ينظر:

BERARD, Victor, Les Saints de Algerie, Imprimeur de eveche, 1857, P. 41.

(١) جون وولف، الجزائر وأوروبا (١٥٠٠-١٨٣٠م)، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص ص ٢٦، ٢٩، ٣٣.

لقد كانت عملية جمع الأموال لافتداء الأسرى الأوروبيين منظمة رغم صعوبتها فقد ساهم فيها عدة أطراف: الملوك، والكنيسة (رجال الدين)، وكذلك الشعوب. إذ كانت عملية جمع المبالغ تعد صعبة خاصة بالنسبة للأثرياء الذين يتأخرون عن التصدق بمبالغ بسيطة من أجل تحرير الأسرى. ومن أجل تغطية تكاليف افتداء الأسرى ولدفع المسيحيين لتقديم الهبات والتبرعات المالية استخدمت عدة أساليب منها[1]:

أ. تخصيص الميزانيات لذلك الغرض: فتم وضع ٨٠% - ٩٤% من الميزانية المخصصة لعملية الافتداء تحت تصرف آباء وقساوسة الفداء من أجل افتداء أكبر عدد ممكن من الأسرى في كل من (سيفيل وفالونسيا) وهي مبالغ ملحقة بمجموعة من المدفوعات بإيالات شمال أفريقيا.

ب. فرض غرامات مالية على كل فرد يحضر متأخراً للصلاة مثلما حدث في إنجلترا[*].

ج. فرض ضريبة مالية على السلع المستوردة من الخارج تخصص لهذا الغرض.

د. قيام رجال الدين في الكنائس بإثارة حماس الأفراد وحثهم على تقديم الهبات، كما أرسلت الكنيسة فرقاً لجمع التبرعات عبر مختلف الأقاليم[2].

٢- دور المبعوثين الدينيين في افتداء الأسرى:

إن الأغنياء والنبلاء من الأسرى الأوروبيين كانوا يتوقعون دفع مبالغ فدائهم من طرف ملوكهم أو أقربائهم أو ذويهم رغم وجود بعض الأسباب والمشاكل التي تؤثر على استقرار الحالة المادية لهؤلاء وعلى النقيض من ذلك كان مصير الغالبية من الأسرى الفقراء واليتامى ومن لا أصدقاء لهم مجهولاً. ومن جهة أخرى فإن الأسير الفرنسي والإنجليزي والهولندي أيضاً، قد يتوقع - كما حدث - الحصول على حريته عن طريق معاهدة بين حكامه وإيالة

---

(1) LAUDE, Larquie, Op. Cit., p. 85.

(*) ناقش البرلمان الإنجليزي قضية الأرقاء وقرر المجلس إسعافهم ما بين سنتي ١٦٤١ و١٦٤٢م حيث فرض هذا المجلس ضريبة تقدر بـ ١% على الواردات والصادرات لتوفير أموال الفداء. للمزيد ينظر: وولف جون، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) جون وولف، المرجع السابق، ص ص ٢٣، ٢٥، ٢٦.

طرابلس، رغم الصعوبات الموجودة في إجراء التبادل أو في الحصول على نقود الفداء، ومع ذلك تبقى فرص الحرية قائمة بالنسبة لهم.

لهذا حاولت التنظيمات الدينية المسيحية ملء هذا الفراغ الذي خلَّفَتْهُ الأزمات والحروب الطويلة بين الدول الأوروبية وإيالات شمال أفريقيا. وقد اتجه نشاط تلك البعثات بصفة مركزة خلال القرنين ١٦ و١٧م إلى إيالات شمال أفريقيا – بما فيها طرابلس – التي كانت تعّد منطقة تَجَمُّعٍ لكثير من الأسرى الأوروبيين بفضل قوة أسطولها في حوض البحر المتوسط. وفي هذا الصدد شجعت البابوية المؤسسات الدينية الأوروبية على ضرورة إرسال مجموعات من المبعوثين الدينيين لافتداء الأسرى الأوروبيين، والحقيقة فإن هؤلاء المبعوثين قدموا الكثير من الخدمات والمساعدات للأسرى. فقد ساعدوهم في ممارسة طقوسهم المسيحية والقيام بشعائرهم فجر كل يوم(١).

وقد اختارت المؤسسات الدينية في أوروبا القس الإسباني "بياتو جيوفاني دايرادو" ليكون رئيساً للإرسالية في طرابلس وتونس والجزائر وذلك سنة ١٦٣٠م، وفي هذا الوقت أُرسِل الأب "ماركودي سكالفي" والأب "إدوارد دايرجامو" إلى طرابلس ولكنهما لم يقيما إقامة دائمة في المدينة لاتساع مجال عملهما ولم يستطيعا سدَّ حاجة المسيحيين المقيمين فيها سواء كانوا من الأسرى أو الأحرار.(٢)

هذا وقد استغل المبعوث الديني الفرنسي الملقب بـ"الكاردينال" علاقة بلاده الطيبة مع طرابلس سنة ١٦٣٨م، وطلب من الباشا "محمد داي" افتداء مئة وثلاثين أسيراً فرنسياً بنصف القيمة المطلوبة لافتدائهم، غير أن الباشا رفض طلبه وأصر على دفع المبلغ بالكامل والمقدر بـ أربعمائة ألف قرش، واضطر المبعوث الديني أن يدفع مبلغ يكفى لتحرير خمسين أسيراً فرنسياً فقط.(٣)

---

(١) جون وولف، المرجع السابق، ص ٢١٥ ؛ كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٢) كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٣) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ١٦٤.

فيما شهدت سنة ١٦٤١م نقصاً في المبعوثين الدينيين فتقرر تعيين الأب "فرانشيسكو فينيسيا"، حيث عهد إليه بتقديم الرعاية الدينية لهم حتى يتم إرسال مبعوث ديني آخر من أوروبا. وقد وصل إلى طرابلس مبعوثان هما الأب "باسكال بروسا " ورفيقه الأب " فرنسوا باسيفكو"، وكلفا بمهمة العمل على افتداء وتحرير الأسرى الأوروبيين، وإقامة مقرات ومراكز للإرساليات التنصيرية. واستأجرا بيتاً أسسا به كنيسة صغيرة، وقد نجح الأب "باسكال بروسا" في افتداء خمسين أسيراً أوروبيا.(١)

ولما عاد الأب "فرنسوا باسيفيكو" إلى وطنه أصبح الأسرى الأوروبيون محرومين من الرعاية الدينية ومن تقديم المساعدة، وتم تكليف "بياتو جان باتيستا" برئاسة الإرسالية الفرنشيسكانية خلفاً للأب "فرنسوا باسيقيكو"، فكان ينبغي عليه السعي لتقديم المساعدة لتحرير الأسرى ولكنه أفتقر إلى النقود التي تساعد في افتدائهم.(٢)

بادر القسيس الجديد إلى مقابلة "عثمان باشا الساقزلي" (١٦٤٩-١٦٧٢م)(*) لتقديم فروض الاحترام والإجلال، واستقبله الوالي استقبالاً ودياً. كذلك وصل خلال تلك الفترة مبعوث فرنشيسكاني آخر هو "ماركو دي بترابيزيا"، الذي كلف من قبل دوق "فيزيني" بالعمل على افتداء أسرى صقلية.(٣) وفي سنة ١٦٦٠م جاء إلى طرابلس أميرال فرنسي وبعده وصل

---

(١) كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ص ١٦٢، ١٦٣؛ شارل فيرو، المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ص ١٩٥، ١٩٦.

(*) ينتمي عثمان إلى جزيرة ساقزة وهو علج من أصل يوناني فرَّ من مدينته بسبب اتهامه في قضية مريبة حيث ركب سفينة تجارية إلاّ أن السفينة قد وقعت في الأسر حيث استولى عليها "مامي ريس" الذي اقتاد السفينة إلى طرابلس وعند وصول المدينة تمَّ تقسيم السبايا فكان عثمان من نصيب "مصطفى شريف داي" (١٦٢٤-١٦٣٠م) حيث عطف عليه وأقنعه بدخول الإسلام ودخل جيش الإيالة حتى أصبح من كبار قادة الجيش ونتيجة لقوته وشجاعته فلم يلبث أن وصل إلى منصب بك ثم وصل بعد ذلك منصب الداي سنة ١٦٤٩م. للمزيد ينظر: محمد أفندي، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت: دار المعارف (د.ت)، ص ١١١.

(٣) كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ص ١٩٥، ١٩٦.

أميرال آخر هولندي اقتصر عملهما على افتداء الأسرى الأوروبيين من جنسيتيهما.(١)

كما لعب المبعوثون الدينيون دور الوسيط بين طرابلس وبعض الحكومات الأوروبية. ففي التاسع عشر من شهر أغسطس سنة ١٦٦٩م هدد الأسطول الفرنسي بقيادة "دالميراس" بقصف مدينة طرابلس، فتدخل القساوسة بالمدينة ونجحوا في إرضاء الطرفين، ولحل الأزمة استطاعوا فك أسر خمسة وعشرين أسيراً فرنسياً، وبالتالي أسهموا في حماية المدينة.(١)

أما في سنة ١٧٣٠م وصل إلى طرابلس أحد القساوسة المبعوثين من هيئة تخليص الأسرى الأوروبيين قادماً من إستانبول، فنجح في افتداء ثلاثين أسيراً أوروبياً بعد دفع مبلغ قدره ١٠٤١٢ دوكاتو(*)، وقد لقى هذا المبعوث معاملة طيبة من قبل "أحمد باشا القرمانلي" (١٧١١-١٧٤٥م)(٣)

٣- أعلام ورايات السفن الخاصة بافتداء الأسرى:

كان لحملات الفداء صدى كبيراً يظهر من خلال استعمال مجموعة من الرموز بعضها بسيط واضح ومألوف وبعضها الآخر متعدد ومعقد، حيث اتخذوا الشعارات والرايات والأعلام المرفقة للقوافل والملصقة على سرايا السفن وهذه الشعارات والرموز توضح المهمة والهدف المرجو من وراء هذه الحملات والمتمثل في افتداء الأسرى الأوروبيين، كما تبين الهيئة والتنظيمات الدينية التي تولت هذه المهمة.(٤)

وإنجاز هذه الرايات مكلف ماديًا، ففي إحدى حملات الفداء التي قام بها الآباء والقساوسة سنة ١٦٦٦م طلبوا من الرّسام "چان دى هارو" أن يرسم بعض الصور على السفن، مقابل ١٨٢ ريالا. كما قاموا بتطريز شعاراتهم بواسطة الجواهر فوق قطع من

---

(١) كاميللو مانغروني، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) محمد الهادي عبدالله أبوعجيله، المرجع السابق، ص ٨٤.

(*) دوكة: جمع دوكات وهي عملة بندقية صدرت سنة ١٢٨٤م وسميت فيما بعد بالزكينو ويساوي ٣.٥٥ جرام ذهب. للمزيد ينظر: سمير علي الخادم، المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٣) إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٤١.

(4) LAUDE, Larquie, Op. Cit., P. 85.

الحرير. كما استعملت في إحدى سفنهم راية كلفتهم ٤٦ ريالا. وقد كانت الراية تحمل في الجهة الأولى صورة المسيح المصلوب وأسلحة البابا والملك، ومن الجهة الأخرى صورة للعذارء المقدسة مع صورة القديسين "بيار نولاسك" و"ريمون نونا". (١)

ومن الملاحظ أن وجود هذه الرايات يدل على أن مفتدي الأسرى هم مبعوثون رسميون يمثلون السلطة الزمنية (سلطة الملك) من جهة والسلطة الدينية (سلطة الكنيسة) من جهة ثانية وهذا من خلال الصور والرموز التي تحملها.

٤- استقبال مفتدي الأسرى:

بمجرد وصول المبعوثين الدينيين لافتداء الأسرى كانوا يتجهون مباشرة إلى الباشا حيث يقدمون له هبة تتمثل في بعض الجواهر والمبالغ المالية، وعندها يطلب منهم الباشا إعلامه بالمبلغ المالي والسلع التي جلبوها، ثم يرسل – بعد تلقيه الجواب – نائباً عنه للتأكد من المبلغ، كما يرسل في إحضار تلك الأموال إلى القصر، وبعدها:

أ. يقطع ٣% من قيمة المال، و١٢.٥% من قيمة السلع ويأخذ أيضاً حقوق الأبواب (الدخول).

ب. يُجهّز للمبعوثين الدينيين سكن خاص، كما يعين لهم ترجماناً لمساعدتهم في تأدية مهامهم.

وقد كان هؤلاء القساوسة يعاملون- طيلة مدة إقامتهم -معاملةً حسنةً، حيث إن الباشا يصدر أمراً رسمياً بعدم الاعتداء عليهم، كما يحصلون بعد تسديد الضرائب المطلوبة منهم على الإذن بالتنقل داخل المدينة لإتمام مهامهم.

وتشير تلك المعاملة إلى حاجة إيالات الشمال الأفريقي – لاسيما طرابلس – إلى لتلك المبالغ المالية التي يُحصّلونها بغرض الفداء، فتلك الأموال كانت تُعَدُّ من المصادر الأساسية لمداخيل الخزينة المالية آنذاك.(٢)

---

(١) جون وولف، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٧.

٥- إجراءات وطقوس ما بعد الافتداء:

وبعد إتمام إجراءات الفداء، يمنح كل أسير محرر برنوساً أبيض اللون، وبعدها يتم التوجه إلى الكنيسة لتأدية القداس الاحتفالي وصلوات الشكر، ثم يقاد الموكب إلى قصر الباشا، وهناك يمتثل الجميع أمام قاضي الأحوال المدنية لتلقي بطاقة الحرية (وهي عبارة عن كشف شخصي يدون عليه الاسم واللقب والموطن والطول ولون الشعر والعلامات المميزة)، ثم يقاد الجميع في شكل موكب منظم باتجاه الميناء للإبحار على رأسه بعض رجال الدين إلى جانب الترجمان، أمّا الأسرى المحررون فيسيرون بطريقة منظمة مثنى مثنى إلى الميناء، في تلك اللحظة عادة ما يأمر "الداي" باتخاذ كل الإجراءات والاحتياطات حتى لا يتسلل أحد الأسرى غير المفتدين وسط هذا الموكب.

وبعد العودة إلى أوطانهم يواصلون السير في شكل مواكب حيث ينتقلون عبر الشوارع والمدن الأوروبية قاصدين مقرات التنظيمات المسؤولة على فدائهم، حيث يُستقبلون من أعضائها في حفل بهيج يتميز بطقوس دينية متعددة تستمر عدة أيام[1].

ثالثاً: الافتداء عن طريق المنظمات التجارية اليهودية:

تزعمت إنجلترا السياسة المعادية لفرنسا خاصة بعد أن تولّى حكم فرنسا الملك "وليم الثالث"، فعلى سبيل المثال: حرض قناصل إنجلترا وهولندا سنة ١٦٩٢م البحارة الطرابلسيين على مهاجمة السفن الفرنسية، وسلب ما بها من بضائع وأَسْر ركابها، وذلك تمشيًا مع سياسة دولتيهما المعاديتين لفرنسا، وقد واجهت فرنسا صعوبات من أهمها: مسألة تحرير رجالها البحارة الذين وقعوا بالأسر في أيدي بحارة طرابلس، مما اضطرها إلى أن تعهد بتلك المهمة لمنظمات خيرية يهودية لتقوم بافتداء أسراها بالنيابة عنها، إذ كانوا وسطاء في تحرير جميع الأسرى الأوروبيين، حيث قاموا بشرائهم ومن ثَمَّ يرسلونهم إلى ذويهم على شرط أن يقوم أهلهم بدفع القيمة التي يحددها كبار التجار اليهود إلى بعض المنظمات اليهودية التي تأسست لهذا الغرض في بعض المدن الأوروبية، وجنوا أموالا طائلة من أهالي الأسرى. كما

(١) المرجع نفسه، ص ص ٣٥، ٣٨، ٤١.

قامت تلك المنظمات اليهودية بشراء أسرى طرابلسيين من الدول الأوروبية وبعثهم إلى ذويهم مقابل دفع مبلغ متفق عليه، وهذه المهمة تفوق نفوذ القناصل الأوروبيين في أفريقيا.(١)

رابعاً: الافتداء الذاتي:

لم يكن الأسير لدى الطرابلسيين ذليلاً، كما ذكر غير المنصفين؛ لأن الدين الإسلامي نظر للأسرى نظرة آدمية وحماهم من التعذيب والمعاملة القاسية، وأمر بمعاملة الأسرى بالعدل واللين، ولهذا فإن الطرابلسيين سمحوا للراغبين منهم بتحرير أنفسهم بجمع المال اللازم لذلك، بالإضافة إلى منح بعضهم الحرية كتقدير لما أنجزوا من عمل يخص الباشا. ففي سنة ١٥٥٢م أنشأ "مراد آغا" (١٥٥١-١٥٥٦م) مسجداً عند مرابطته بقواته في منطقة تاجوراء بطرابلس، مستعينا في بنائه بالأسرى الأوروبيين، مقابل إطلاق سراحهم حين إتمام بناء المسجد، وبالفعل أوفى الآغا بوعده وأحسن إليهم وأعاد إليهم حريتهم، وقام بتسفيرهم إلى بلدانهم الأوروبية.(٢)

كما أطلق "درغوت باشا" سراح الأسرى الأوروبيين الذين شاركوا في انتصاره على سكان منطقة تاجوراء تثميناً لمواقفهم وذلك سنة ١٥٦٠م.(٣)

وفي سنة ١٦٥٤م أسر "باترون أوجر"، وهو خبير في بناء السفن، وقام ببناء أربع سفن فكان مَبْعَثَ سرورٍ وارتياح لدى الوالي "عثمان باشا الساقزلي" (١٦٤٩-١٦٧٢م) الذي غمره بكرمه وحسن معاملته وأعاده إلى بلاده من دون دفع أية فدية، كما قدَّم له الهدايا

---

(١) خليفة محمد الأحول، المرجع السابق، ص ١٥؛ سليمان أحمد حسين، تجار المدن والواحات الليبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، منشورات مركز الوطني للمحفوظات التاريخية طرابلس، ٢٠١٠م، ص ١٦٧.

(٢) سعدي إبراهيم الدراجي، زليتن دراسة في العمارة الإسلامية، منشورات: زليتن القيادة الشعبية الاجتماعية ٢٠٠٥م، ص ١٤٨؛ خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص ٧٧؛ شارل فيرو، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٣) كاميلو مانفروني، المرجع السابق، ص ٨١؛ كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ٧٧.

الثمينة عند سفره.[١]

وأظهرت سنة عام ١٧٨٤م أن الأسرى الأوروبيين الذين يتقنون حرفة أو صنعة أو أصحاب خبرة تجارية كان يُسمح لهم بالعمل لحساب أنفسهم، بعد أن يتموا الأعمال التي كُلفوا بها، حيث تحصلوا على الكثير من الأموال. وهنا تستغرب الآنسة "توللي" من هؤلاء الأسرى؛ لأنهم كانوا يجمعون مبالغ كثيرة من عملهم في أثناء رقهم ولا يحاولون شراء أعناقهم، بل يبقون رقيقاً[٢]. ربما يعود ذلك حسب رأي الباحث إلى ما وجدوه من حياة أفضل مما ألفوه في بلادهم. أما الأسير الفقير، فيمارس بعض الأعمال التي تسمح له بتوفير ثمن فدائه، كالعمل في الخمارات والملاهي الموجودة على مستوى سجون الأسرى.[٣]

خامساً: الافتداء عن طريق جهود أخرى:

من المعلوم أن الحكومات الأوروبية قد بذلت جهودًا كثيرة لتحرير أسراها. ففي سنة ١٥٨٥م تقدم السفير الإنجليزي بإستانبول السيد "توماس بندش" بمذكرة احتجاج جراء أسر سفينة إنجليزية وبحارتها من قبل بحارة طرابلس، إذ حث فيها على ضرورة إطلاق سراح السفينة وتعويض بحارتها، ولم تلق المذكرة صدى لدى إستانبول، مما دعا الحكومة الإنجليزية لأن تفوض قائد الأسطول الإنجليزي لعقد اتفاقية مع طرابلس مباشرة، تم بموجبها إطلاق سراح جميع الأسرى الإنجليز.[٤]

وفي الوقت ذاته أسرت القوة البحرية الطرابلسية سفينة إنجليزية وعلى متنها أحد

---

(١) خليفة محمد التليسى، المرجع السابق، ص ١٠٢؛ كوستانزيوبرنيا، المرجع السابق، ص ١٩١.

(٢) كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ٢٦٧؛ الآنسة توللي، عشرة أعوام في طرابلس ١٧٨٣-١٧٩٣، ترجمة: عبدالجليل الطاهر، (منشورات الجامعة الليبية: دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي ١٩٦٧م)، ص ص ١٩٦، ٢٠٨.

(٣) المبروك محمود صالح، "القرصنة البحرية في البحر المتوسط خلال عهد الأسرة القرمانلية، (ولاية طرابلس الغرب ١٧١١-١٨٣٥م)، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية - العدد الثاني والثمانون- يوليو ٢٠١٠م، ص ٨١.

(٤) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ص ١٥، ١٦.

الضباط الإنجليز في مياه حوض البحر المتوسط وأصيبت السفينة بأضرار بالغة، فأخطرت الحكومة الإنجليزية إستانبول وحثتها على التدخل لإطلاق سراح الضابط الإنجليزي، والتعويض عن الأضرار التي قدرت بـ خمسة آلاف دولار. (١)

وفي سنة ١٦٣٠م وجهت فرنسا إلى طرابلس ممثلها "بيرينجوير" لكي يحرر أسراها. وفي سنة ١٦٨٢م تمكنت فرنسا من إقناع سلطات طرابلس بإطلاق سراح ٢٦٠ أسيراً فرنسياً(٢). ومن المعروف أنه كان هناك تفاوت في أسعار هذه السلعة البشرية، فأفضل الأسرى سكان (البندقية) الذين استُخدِموا في الأعمال البحرية لخبرتهم الواسعة في هذا المجال، فكان ثمن أحد ربابنة السفن واسمه "زورزي تفانللي" وأسر في ٤ يناير ١٧٣٩م ٤٠٠٠ دوكة إيطالية، وبعد مفاوضات نجح مفوض فرنسا "كولات" بتخفيف المبلغ" من ٤٠٠٠ إلى ٣٢٠٠ دوكة(٣).

ونجح قنصل السويد في تحرير المدعو " زورزي تفانللي"، وذلك بعد سحب البندقية قناصلها من جميع إيالات الشمال الأفريقي، فأصبح قنصل السويد الراعي لمصالح البنادقة بطرابلس وعن طريقه قامت حكومته بتحرير "زورزي تفانللي"، بدفع مبلغ ٦٥٠ سكيني (عملة إيطاليا أيضاً) وتم إطلاق سراحه في يوم ١٥ أغسطس ١٧٤٩م، ووصل إلى البندقية في يوم ٢٠ سبتمبر في نفس السنة.(٤).

وفي سنة ١٧٥١م وصل إلى طرابلس المستر "هاميكين" موفداً من البلاط الدانمركي، وقد افتدى اثنى عشر أسيراً دانمركياً بمبلغ قدره ٢١٥٠٠ زوكيني، ودفعت حكومته مبلغ وقدرة ٢٦٠٠٠ زوكيني كبادرة على حسن النية.(٥)

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) بروشين، المرجع السابق، ص ٩٦ ؛ محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ٩١.

(٣) خليفة محمد الأحول، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٤) إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٤٧؛ خليفة محمد الأحول، المرجع السابق، ص ص ٤٦، ٤٧.

(٥) بروشين، المرجع السابق، ص ١٢٦؛ إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٤٧.

أما في سنة ١٦٧١م فقد عهدت إنجلترا بمنصب القنصل في طرابلس إلى "تانتييل براندلي"، وكان من أفضل القناصل الأجانب في تلك الفترة، واهتم بحماية الأسرى والتجار الأوروبيين، لدرجة أن الأسرى الأوروبيين كانوا يعدونه أباً لهم، كما لجأت إليه منظمة الإرسالية الفرنشيسكانية في الظروف الحرجة، وكانت دوقية توسكانا ودوقية مودينا على صلة به، وكانتا توصيانه برعاية أسراهم، وتوفرت له حرية الدخول على الوالي، والتعامل معه معاملة الند للند. وأقام في طرابلس ثلاثة أعوام ونصفاً.(١)

وخلال سنة ١٦٧٥م أجبرت عاصفةٌ سفينةً مالطية للجوء إلى ميناء طرابلس مما جعلها عرضة للنهب، كما تم نهب عدد من الزوارق الإنجليزية التي كانت قريبة من ميناء طرابلس من قبل البحارة الطرابلسيين وأسر جميع من عليها، وبعد وصول الخبر إلى القنصل الإنجليزي "وارنجتون" أسرعَ إلى القلعة غاضباً وطالب بإعادة الأسرى والبضاعة والمراكب الإنجليزية، ووافق الباشا على مطالب القنصل، إضافة إلى تحرير اثني عشر أسيراً وقسيساً.(٢) كما لجأت حكومة سردينيا إلى قنصل فرنسا لفك أسراها بطرابلس سنة ١٧٩٨م حيث تدخل القنصل الفرنسي واستطاع افتداء ٦٠٠ أسير سردينى.(٣)

هذا وقد حث القنصل الإنجليزي "وارنجتون" "يوسف باشا" على إطلاق سراح الأسرى المالطيين الذين سبق القبض عليهم عندما دخلوا المياه الإقليمية لحدود مياه طرابلس عند مدينة زوارة، ووافق الباشا على تحريرهم، وأعيدت إليهم كل ممتلكاتهم وذلك سنة ١٨٠٦م.(٤)

وفي أول سبتمبر سنة ١٨١٥م وصل إلى طرابلس السيد "مير" القنصل الجديد لفرنسا في طرابلس، حيث استطاع في أول مقابلة له مع الباشا الحصول على قرار بالإفراج عن السفينة الفرنسية (الإلياس) المستولى عليها، وإطلاق سراح طاقمها(٥).

أما في سنة ١٦٧٥م فقد استطاعت فرنسا بقوة مدفعيتها تحرير جميع أسراها بما فيهم

---

(١) كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ١٨٧.
(٢) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ٣١.
(٣) كاميللو مانغروني: المرجع السابق، ص ص ١١٧، ١١٨.
(٤) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ٦٢.
(٥) محمد الهادي أبوعجيله، المرجع السابق، ص ٢٢٢.

أسرى أوروبيون بلغوا أكثر من ١٢٠٠ أسير، كان أغلبهم من الجنسية الإيطالية. وبلغ عدد الأسرى الإنجليز وحدهم خمسة وأربعين أسيراً.(١)

ومما يجدر ذكره أنه سنة ١٨١٥م بلغ عدد الأسرى الأوروبيين في السجون الطرابلسية ١٥٠٠ أسير معظمهم من الإيطاليين. وكان بيع مجموعات من الأسرى من مختلف الجنسيات الأوروبية في الأسواق الأفريقية يتم علانية. وخلال هذه السنة اشتكت الحكومة المالطية إلى القنصل الإنجليزي "وارنجتون" من استمرار عمليات القرصنة التي تهدف لاسترقاق المسيحيين، قائلة: "إني لأتساءل إلى متى ستسمح إنجلترا بهذه التجارة؟". وكانت إنجلترا قد تلقت في هذا الوقت بالذات تكليفا من مؤتمر فيينا، بأن تفرض بقوة أسطولها على دول الشمال الأفريقي إلغاء استرقاق المسيحيين.(٢)

وفي ٢٧ أبريل ١٨١٦م وصل اللورد "إكسماوث" ممثل الحكومة الإنجليزية لعقد اتفاقية مع "يوسف باشا"، ضمنت بنودها؛ إلزامِهِ التوقيع على تعهد خاص بإلغاء استرقاق المسيحيين ومعاملة الأسرى الأوروبيين معاملة أسرى حرب، فلا يُباعون ولا يُشترَون، وبناءً على ذلك أطلق الباشا سراح أربعمائة واثنان وعشرون من نابولي وصقلية، ومئة وأربعون من سردينيا وجنوا، وعشرة من روما، وأربعة من هامبورج.(٣)

وفي ٢٠ نوفمبر ١٨١٥م كان للنجاح الذي حققه "وارنجتون" قنصل إنجلترا في التوسط عند "يوسف باشا" لصالح مملكة الصقليين، أثره في جعل حكومة سردينيا تحذو حذو مملكة الصقليين وتطلب من القنصل الإنجليزي التوسط لها عند "يوسف باشا" لكي يطلق سراح السفينة السردينية "كولميا"، وبحارتها الذين تم أسرهم من قبل البحرية الطرابلسية، لكن السفينة كانت قد تم بيعها لأحد التجار اليهود المقيمين في طرابلس، فعرض "يوسف باشا" على حكومة سردينيا تعويضها مقابل بيع تلك السفينة.(٤)

---

(١) كاميللو مانغروني، المرجع السابق، ص ٧٢؛ عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) بروشين، المرجع السابق، ص ٢٢٥؛ عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ١١٣؛ إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٣٩٠.

(٣) خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٤) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ١٠٧.

ولما أُسرت سفينة تجارية إنجليزية وبحارتها على يد بحارة طرابلس بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٨١٥م غضب القنصل الإنجليزى "وارنجتون" وطالب بشنق قائد السفن الطرابلسية التي أسرت السفينة الانجليزية؛ بالحبل الذي يرفع العلم الإنجليزي وتحت ساريته، وأن يتم تنفيذ الأمر على أيدي البحارة الإنجليز فضلاً على إطلاق سراح طاقمها والسماح لها بالمغادرة، وتُحمَّل السفينة بثلاثمائة طن من الملح.(١)

وبفضل التخطيط الدبلوماسي الذي اتبعه "وارنجتون" استطاع الحصول على المكانة المرموقة في نظر الدول الأوروبية وقناصلها المعتمدين في طرابلس، وعند الرعايا الأجانب المقيمين في طرابلس، مما حدا بكثير من الدول الأوروبية أن تطلب منه تمثيلها في طرابلس الغرب، والدفاع عن مصالحها ورعاياها عند سلطات طرابلس، حتى أصبح في نهاية سنة ١٨١٥ بمثابة ممثل لكل من مملكة صقلية ونابولي والبرتغال وهولندا والنمسا وهانوفر وتوسكانيا وروسيا.

وفي الوقت نفسه أُعتُبِرَ ممثلاً للمعهد الإفريقي بمالطا الذي عمل على تحرير الأسرى الأوروبيين الذين تم أسرهم على أيدي بحارة أساطيل الإيالات الأفريقية الثلاث طرابلس وتونس والجزائر، وكان أغلب هؤلاء الأسرى من الإيطاليين والإسبانيين واليونان، ويتم بيعهم في الأسواق الإفريقية علانية.

وبالرغم من هذه المكانة التي حظى بها هذا القنصل عند الدول الأوروبية وعند "يوسف باشا" فإنه فشل في بعض الأمور وخاصة عمليات الجهاد البحري (القرصنة) التي يقوم بها بحارة طرابلس ضد الأساطيل الأجنبية والتي أسفرت عن موارد مالية كثيرة دعمت اقتصاد إيالة طرابلس. وفي ذلك الوقت كلف ملك صقلية القنصل "وارنجتون" بعقد معاهدة صلح بين طرابلس وحكومة مملكة صقلية ومع الحكومة النمساوية أيضاً لإيقاف العمليات ضد أساطيلهم، ولكنه فشل في ذلك رغم وجود علاقات وطيدة بين سلطات طرابلس والإنجليز والمكانة الطيبة التي يتمتع بها قنصلهم عند "يوسف باشا".(٢)

---

(١) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ١١٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ص ١١٢، ١١٣.

وفي سنة ١٨١٦م وبعد أسر سفن الدولة البابوية وبعض سفن توسكانيا، لجأت حكومة البابا وتوسكانيا إلى القنصل الإنجليزي، وطلبت منه التوسط عند الباشا لإطلاق سراح السفن والأسرى، ومحاولة عقد معاهدة صلح بين دولتيهما وبين الباشا، وعلى أثر ذلك عقدت سردينيا وصقلية معاهدة مع الباشا في٢٩ إبريل ١٨١٦م(١).

وبتاريخ ٨ مايو ١٨١٦م اضطر الباشا بعد ضغوط الدول الأوروبية إلى إلغاء استعباد المسيحيين والموافقة على إطلاق سراح ١٤٤ أسيرًا سردينيًّا ومِن جِنْوَا، كما أطلق ٤٢٢ أسيرا من نابولي مقابل فدية بلغت خمسين ألف قرش(٢).

أما في سنة ١٨٢١م فقد وافق "يوسف باشا" على طلب "وارنجتون" إطلاق سراح تسعة أسرى من البحارة الإيطاليين(٣).

وتغير الوضع السياسي في الشمال الإفريقي تغيراً جذرياً عميقاً باحتلال فرنسا للجزائر في ٥ يوليو ١٨٣٠م، فبعد ذلك بشهر وصل إلى طرابلس في ٩ أغسطس الأميرال "كلود روساميل" الذي أجرى محادثات مع الحاج "محمد بيت المال"(*)، أسفرت عن توقيع اتفاقية بتاريخ ١١ اغسطس، وقد أقر الباشا في هذه الاتفاقية بالتزامه إلغاء استرقاق المسيحيين بصفة نهائية ودائمة في إيالته، وأن يطلق سراح جميع الأرقاء الموجودين بها، وأنه ينبغي عليه اعتبار الأسرى الأوروبيين في زمن الحرب أسرى حقيقيين تجري معاملتهم طبقاً للقوانين الأوروبية، وأنه يحق للدول الأجنبية أن تقيم قنصليات ووكلاء تجاريين في جميع أنحاء البلاد، دون أن تدفع أي هبة أو هدية، كما التزم الباشا أيضاً بدفع تعويض عن الحملة

(١) عبدالله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص ص ١١٨، ١١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٩.

(٣) رود لفوميكاكي، المرجع السابق، ص ١٧٦.

(*) هو الحاج محمد بن إبراهيم شلبي بيت المال، ولد بطرابلس في أواخر القرن الثاني عشر الهجري. حفظ القرآن وأخذ العلوم الدينية والعربية على علماء طرابلس، وكان له باع في الأدب. ولعب دوراً سياسياً مهماً في البلاد وعلاقاتها مع الدول الأجنبية. للمزيد ينظر: الطاهر الزاوي، "اعلام ليبيا"، ط١، (د.ت)، ص ٣٢٠.

وديون الفرنسيين وهي مبلغ ثمانمائة ألف فرنك، نصفها يدفع فوراً ويدفع الباقي في مدة أقصاها ٢٠ ديسمبر[١].

من خلال هذا البحث يمكن أن نستنتج ما يلي:

- إن عمليات افتداء الأسرى الأوروبيين في إيالة طرابلس خلال العهد العثماني فرضها نشاط بحرية طرابلس، وما ترتب عنه من أسر أعداد كبيرة من الأوروبيين.
- أثرت مسألة الأسرى الأوروبيين وافتدائهم على العلاقات الدولية بين الإيالة الطرابلسية وبعض الدول الأوروبية، حيث سيطرت هذه القضية في الكثير من الأحيان على بنود معاهدات السلم والتجارة التي كانت تعقدها سلطة الإيالة مع بعض القوى الأوروبية – على رأسها فرنسا – وكان غالباً ما ينتج عنها إطلاق جماعي للأسرى.
- شهدت افتداء الأسرى الأوروبيين نشاطاً كبيراً حتى إنه اكتسب طابعاً اقتصادياً يسمى بـ"تجارة الفداء" وكان يدر الأموال للإيالة ولمُلَّاك الأسرى أيضًا.
- اتخذت عمليات الافتداء أشكالاً متعددة ساهمت فيها مختلف الأطراف والوسائط مثل: أقارب الأسير وأصدقائه، الملوك...الخ.
- لعبت المنظمات الخيرية – التي ترأسها كبار تجار اليهود – دوراً كبيراً، فجنوا أموالا طائلة جراء ذلك .
- لم تكن مبالغ افتداء الأسرى الأوروبيين متساوية بل كانت بنسب متفاوتة.
- إن الإبحار باتجاه طرابلس اتخذ شكل البعثات الرسمية التي أكدت شرعيتها من خلال رايات الفداء والعلامات والرموز التي ميزت سفنهم وحفظتهم من الأسر.
- تمَّ الاحتفاء بهؤلاء الأسرى المحررين في طرابلس وفي أوطانهم.

---

(١) إتوري روسي، المرجع السابق، ص ٤٠٣.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع العربية

- ابن خلدون، عبدالرحمن (ت سنة ٨٠٨ هـ)، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م.
- إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ١٩٦٨م.
- بروشين، ن.إ.، تاريخ ليبيا في العصر الحديث – منتصف القرن السادس عشر – مطلع القرن العشرين، ترجمة وتقديم: عماد الدين غانم حاتم، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ٢٠٠٥م.
- توللي، الآنسة، عشرة أعوام في طرابلس ١٧٨٣-١٧٩٣، ترجمة: عبدالجليل الطاهر، (منشورات الجامعة الليبية: دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي ١٩٦٧م).
- خليفة محمد التليسى، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ليبيا – تونس: الدار العربية، ١٩٨٥م.
- خليفة محمد الأحول، بحوث ومقالات في مصادر تاريخ ليبيا الحديث، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ٢٠٠٧م.
- رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، نقله للغة العربية: طه فوزي، دار الفرجاني طرابلس – ليبيا، ١٩٦١م.
- سعدي إبراهيم الدراجي، زليتن دراسة في العمارة الإسلامية، منشورات: زليتن القيادة الشعبية الاجتماعية ٢٠٠٥م.
- سليمان أحمد حسين، تجار المدن والواحات الليبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات التاريخية، ٢٠١٠م.
- سمير علي الخادم، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي - عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط (١٤٥٠-١٥١٧م)، مؤسسة الريحاني، بيروت، لبنان ١٩٨٩م.
- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تعريب: محمد عبدالكريم الوافي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٨٣م.

- عبدالله خليفة الخباط، العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا ١٧٩٥-١٨٣٢م، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٨٥م.
- علي مفتاح إبراهيم، الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ٢٠٠٥م.
- عمار جحيدر، آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ١٩٩١م.
- فيرو: الحوليات الليبية، ترجمة: عبدالكريم الوافي، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ط٢، ١٩٩٤م.
- الطاهر الزاوي في "أعلام ليبيا"، ط١، (د.ت).
- كاميللو مانغروني، العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا/ تاريخ البحرية الليبية، ترجمة وتقديم: إبراهيم أحمد المهدوي، مراجعة: أحمد الجهاني، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ط١، ١٩٩٢م.
- كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة: عبد القادر مصطفي الوحيشي، مراجعة: صلاح الدين السوري، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٨٨م.
- كوستانزيو برنيا، طرابلس من ١٥١٠ إلى ١٨٥٠، تعريب: خليفة محمد التليسي، طرابلس ليبيا: الناشر الفرجاني، ١٩٦٩م.
- محمد أفندي، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت: دار المعارف (د.ت).
- محمد بن عثمان الحشائشي، ١٨٥٥- ١٩١٢م/ رحلة الحشائشي (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، تقديم: علي مصطفي المصراتي، (بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر ١٩٦٥م).
- محمد الهادي أبوعجيله، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية ١٧١١-١٨٣٥م وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس ١٩٩٧م.
- نوري عمر الشتيوي، التجارة البحرية في ولاية طرابلس الغرب، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ٢٠٠٥م.
- وولف (جون ب)، الجزائر وأوروبا (١٥٠٠-١٨٣٠م)، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م.
- ياسين شهاب الموصلي، الأوضاع الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي ١٨٣٥-١٩١١م، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٦م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- BERARD, Victor, Les Saints de Algerie, Imprimeur de eveche, 1857.
- BONO, Salvatore, Les Corsaires en Medierranee, Trad. Ahmed Somai, Edit La Porte, PARIS, edif, 2000.
- DAN, Pierre, Histoire da Barbarie et de ses corsairs. Des Royaumes et des villes d Alger De Tunis, de Sale de Tripoly, Edif. 2, Paris, 1977.
- LAUDE, Larquie, La mediterranee, I'Espagne et le Maghreb au XVII' siècle: le rachat des chretiens et le commerce des homes, Les cahier de Tunisie, Tome XLIV, N 157-158, Trimestres, 1991.

ثالثاً: المجلات العلمية:

- عبدالرزاق أحمد النصيري، "الجالية المالطية في طرابلس الغرب ودورها الاقتصادي في العهد العثماني"، مجلة البحوث التاريخية، السنة الحادية والثلاثون، العدد الأول، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، يناير ٢٠٠٩م.
- عبدالله علي إبراهيم، "مجلس الإدارة في ليبيا في العهد العثماني الثاني"، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٨٠م.
- المبروك محمود صالح، "القرصنة البحرية في البحر المتوسط خلال عهد الأسرة القرمانلية (ولاية طرابلس الغرب ١٧١١-١٨٣٥م)، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية- العدد الثاني والثمانون- يوليو ٢٠١٠م.

رابعاً: الرسائل العلمية:

- المبروك محمود صالح، التجارة البحرية لإقليم برقة خلال العهد العثماني الثاني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م.